لفظ الأهل في التعبير القرآني
(دراسة دلالية سياقية)

The word "family" in the Qur'anic expression

contextual semantic study

حسين كَاطع عبد الحسن

المدرس الدكتور بكلية العلوم الإسلامية/ الجامعة العراقية - العراق -

Hussein Kateh Abdel Hassan

Dr. at College of Islamic Sciences - Iraqi University - IRAQ

ha4367572@gmail.com

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة آيات الأهل في التعبير القرآني دراسة دلالية سياقية، وقد بيَّن البحث معنى الأهل في الدلالة المعجمية، والمعنى الأولي المتبادر من لفظ الأهل، وأبرز البحث معنى عنوان: (أهل البيت) ، فذكر أنماط السياق في التعبير القرآني، ومنها المغايرة في الخطاب القرآني من ضمير الإناث إلى ضمير الذُّكور، كما بيَّن البحث الأنماط القرآنية الأخرى بتقديم الجار والمجرور على المفعول، وحذف يا النداء، كما بيَّن أثر السياق القرآني في آية التطهير، في خمسة مقاطع، وتوصل البحث الى أنَّ عنوان أهل البيت يشمل أهل الكساء ونساء النبي وزوجات خاتم النَّبِيِّين ﷺ.

الكلمات الدالة:
السياق، أهل البيت، الضمير، جمع الإناث .

Research Summary

This research aims to study the verses of parents in the Qur'anic expression, a semantic and contextual study. The research highlighted the meaning of (Ahl al-Bayt) by mentioning the context patterns in the Qur'anic expression, including the contrast in the Qur'anic discourse from the female pronoun to the male pronoun. The research also showed the Qur'anic pattern by introducing the neighbor and the object to the object, deleting the call, and the impact of the Qur'anic context on the verse of purification, in five passages. And the research found that the wives of the Seal of the Prophets (on him and his family and may blessings and peace) are included under the title of the people of the Bayt.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله والحمد لله الذي رفع السماء، وخلق الأحياء، والصلاة والسلام على أوفى الأوفياء محمدٍ وآله الاتقياء، وصحبهِ النُجباء.

أمّا بعدُ؛ فالقرآنُ الكريمُ مُعجزة رسولنا الكريم محمَّد ﷺ بألفاظه ودلالاته، وبلاغة عباراته، وبيانه السَّاحر؛ الذي أعجز العرب على الرغم من فصاحتهم وقدرتهم على التعبير والشعر، فلم يستطيعوا الإتيان بمثله مع أنَّه تَحدَّاهم على الإتيان بمثله أكثر من مرة.

والتعبير القرآني تعبيرٌ فنيٌ مقصود في كلّ لفظة، بل في كلّ حرف، وهذا أمرٌ واضحٌ في القرآن كلّه، لا في آية أو سورة لوحدها، ولقد تبين أنه لم توضع الألفاظ عبثاً، بل هي موضوعة وضعاً دقيقاً بحساب دقيق[1]. ولمحبتي الكبيرة لهذا الكتاب العظيم، ارتأيتُ أنْ يكونَ موضوعَ بحثي في التعبير القرآني؛ فجاء البحث تحت عنوان: (لفظ الأهل في التعبير القرآني دراسة دلالية سياقية).

أسباب اختيار البحث:

لم أجد بحثا مستقلا تناول الدلالة السياقية في القرآن لعنوان الأهل بصورة عامة وعنوان أهل البيت بصورة خاصة، وتناولت فيه الإشكال الأبرز ألا وهو المغايرة في الخطاب القرآني من ضمير الإناث إلى ضمير الذُّكور، فتناولته في القران واللغة، فضلا عن أثر التقديم والتأخير والإعراب والسياق في تحديد عنوان أهل البيت.

منهج البحث

اقتضت هذه الدراسة تقسيم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث؛ احتوت المقدمة أهمية البحث، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع وخطة البحث.

جمعت في المبحث الأول معنى لفظة (أهل) بصيغها المختلفة.

وأمّا المبحث الثاني؛ فقد تناولت فيه أنماط التعبير القرآني لتبيين عنوان (أهل البيت) وجاء على ثلاثة أنماط: النمط الأول: المغايرة في الخطاب القرآني من ضمير الإناث إلى ضمير الذُّكورِ، وتضمّن ثلاثة محاور وكما يأتي:

١- المغايرة من ضمير المؤنث المفرد إلى ضمير الذكور.

٢- المغايرة من جمع الإناث إلى جمع الذكور.

٣- الخطاب بجمع المُذكَّر للمُفرد المُؤنَّث

(١) ينظر: التعبير القرآني ١٠- ١٢.

للفظة أهل في القران ولغة العرب.

النمط الثاني: تقديم الجار والمجرور على المفعول به.

النمط الثالث: حذف ياء النداء.

أما المبحث الثالث: فكان تحت عنوان أثر النسق والسياق القرآني في عنوان أهل البيت وتضمن خمسة مقاطع وكما يأتي:

المقطع الأول: السياق وحُكم التَّخيير للزَّوجات وما يترتَّبُ عليه .

المقطع الثاني :مُضاعفة الحسنة أو السَّيِّئة في الجزاء.

المقطع الثالث: تكرار النداء والاوامر والنواهي.

المقطع الرابع :تعليل الأحكام والأوامر والنواهي.

المقطع الخامس: السياق يؤكد شمول زوجات النبي الأكرم.

واختتم هذا المبحث بعنوان: السياق القرآني(المقاطع الخمسة) سبّب أزمة عند بعض المفسرين، ثم جاءت الخاتمة ، وفيها أهم النتائج ،ثم مصادر البحث.

* * *

المبحث الأول
لفظ الأهل لغةً واصطلاحاً

إنَّ للغة العربيَّة أثرا بالغا في فهم وتحديد معاني ألفاظ القُرآن الكريم ودلالاتها؛ فلا يمكن للمفسر أن يفهم ألفاظ القران إلاّ أن يكُون على معرفة باللغة العربيَّة: بدلالات ألفاظها، وتنُّوع تراكيبها، واختلاف أساليبها، ووُجُوه المُخاطبات فيها[1].

وذكر أصحاب معاجم اللغة أن معاني الأهل تدور على معاني الزوجة والأولاد والأبناء والدين وغيرها، وأن هناك معنى أوليا يتبادر إلى الأذهان: قال ابن فارس: ((أهل الرجل زوجه، والتأهّل التزوج، وأهل الرجل أخصُّ الناس به، وأهل البيت سكانه،))[2]، وقال الزبيدي: ((فأَهلُ الرجُل في الأصل من يجمعُه وإيَّاهُم مَسكَنٌ واحدٌ ثمّ تُجُوِّزَ به فقيلِ أهلُ بيته من يجمعُه وإيّاهُم نَسَبٌ))[3].

وذكر أغلب المعجميين أن هناك بعض الأدلة التي تثبت المعنى الأولي، منها عندما يتزوج الرجل نقول: تأهّل فلان أو اتّخذ أهلا، و (أهِلَ) الرَّجل، يأهِلُ ويأهُلُ أهلاً وأُهُولاً واتَّهَلَ، وتأهَّل:

(١) يُنظر: تفسير الطبري ج١/ ١٢، والتحرير والتنوير ج١/ ١٨.

(٢) معجم مقايس اللغة ١/ ١٥٠.

(٣) تاج العروس ج٢٨/ص٤١

اتَّخَذَ أهلاً، والأَهْلُ: الزَّوجةُ[١]، والتأهُّل: التَزَوُّجُ، والمَرْأة المأهُولة: المُتَزَوِّجةُ.. وفي بابِ الدُّعاء: آهَلَكَ اللهُ في الجنَّةِ إيهالاً، أي: زوَّجَكَ فيها وأدخَلَكَها[٢]، والآهِلُ: الَّذِي لهُ زَوْجَةٌ وَعِيالٌ[٣] ، أهل الرجل زوجه وأخص الناس به، والتأهل التزوج[٤]، ويقول الرازي: ((أَهَلَ الرَّجلُ: تَزَوَّجَ))[٥]، وذكر ابن منظور حديثا لرسول اللّه ﷺ وصحبه وسلم قال: ((أَن النبي ﷺ أَعطى الآهل حَظَّين والعَزَب حَظًّا الآهل الذي له زوجة وعيال والعَزَب الذي لا زوجة له))[٦].

وعلَّل البقاعي سبب الابتداء بالزوجات في سورة الأحزاب في قوله تعالى قل لأزواجك وبناتك؛ لأنّهن الأصل في وجود البنات، فبدأ بهن لما لهن من الوصلة بالنكاح[٧]، وذكر الشعرواي أنَّ هناك إضافة إلى اللغة، معنًى متعارف عليه، فالزوجة لوحدها تنفرد بلفظ الأهل، قال: ((وَإطلاقُ لَفظ الأهل والمُرادُ منهُ الزَّوجَةُ أمرٌ مُتَعَارَفٌ عَلَيهِ إلَى يَومِنَا هَذَا... يَقُولُ الرَّجُل مَثَلاً: جَاءَت معِيَ «أهلِي»، يَقصِدُ زَوجَتَهُ...وَالنَّاسُ يَفهَمُونَ مِنهُ ذَلِكَ))[٨].ويقول محمد عميم:((وفي القياس أهله زوجته خاصَّة، وفي "المغرب": "أهل الرجل: امرأته وولده والذين هم في عياله ونفقته))[٩].

وذكر أصحاب المعاجم أنّ أهل البيت سكانه، وأنّ الزوجة هي أوّل من يأهل بيت الرجل فيكون بيته الخاص مأهولا بها، ثم يأتي الأولاد وتكبر العائلة، فأَهْلُ الرجُلِ في الأصل مَن يَجمعُه وإيَّاهُم مَسْكَنٌ واحِدٌ ثمّ تُجُوِّزَ به فقيلِ أهلُ بَيْتِه مَن يَجْمعُه وإيّاهُم نَسَبٌ[١٠]،وقال ابن منظور: ((وأَهلُ البَيت: سُكَّانه. وأَهل الرَّجُلِ: أَخَصُّ النَّاسِ بِهِ. وأَهلُ بيت النَّبِيِّ، صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَزواجُه وبَناته وصِهْرُه))[١١]، وذكر الراغب في مفرداته قائلا: ((أهلُ الرَّجُل- فِي الأصلِ- مَن يجمعُهُ وإيَّاهُم مَسكَنٌ واحدٌ، ثُمَّ تُجُوِّز بِهِ، فَقِيل: أهل بَيت الرَّجُل لمَن يَجمعُه وإيَّاهُم نَسبٌ))[١٢]. وقال الفيّومي:((وأهلت بالشيء أنست به و أهل الرجل يأهل و يأهل أهولا إذا تزوج و تأهل، أهلت به))[١٣] .

وأورد القمي حديثا يثبت أنّ زوجات النبي من اهل البيت قال ((عن زرارة قال سمعت

(١) يُنظر: مُعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب: «مادة: أهل».٢٨/١١.
(٢) لسان العرب «مادة : أهل»٢٨/١١ .
(٣) لسان العرب «مادة : أهل».٢٨/١١.
(٤) العين مادة(أهل) ج٨٩/٤ .
(٥) مختار الصِّحاح٦/ ١٣.
(٦) لسان العرب مادة (أهل)
(٧) نظم الدرر ١٣٥/٦.
(٨) يُنظر: تفسير الشعراوي ج١٢/ ١٢٠٢٥- ١٢٠٢٦.
(٩) التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ٣٨.
(١٠) تاج العروس ٢٨/ ٤١ .
(١١) لسان العرب ((مادة أهل) ٢٩/١١.
(١٢) مفردات غريب القرآن ، الراغب الأصفهانى ٢٩.
(١٣) ينظر: المصباح المنير ٢٨/١، لسان العرب ٢٩/١١.

أبا جعفر (عليه السلام) يقول لما هلك إبراهيم بن رسول الله ﷺ حزن عليه رسول الله ﷺ حزنا شديدا ...فقال: الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت))[١] وذكر المجلسي حديثا يدلّ على أن لفظ (أهل البيت) يعني الزوجة، قال:((قالت الجارية: من بالباب ؟ قال: أنا محمد، قد جئت ابشر خديجة بقدوم أموالها وسلامتها ، فلما سمعت خديجة كلام رسول الله ﷺ ...، وفتحت الجارية الباب، فقال: السلام عليكم يا أهل البيت ، فقالت خديجة : هنيئا لك السلامة يا قرة عيني))[٢].

وذكر ابن منظور نقلا عن سيبويه بأنَّ كلمة (أهل) لفظٌ مذكرٌ لذلك تأخذ ضمير المذكر حتى وإن دلَّت على النساء، ((قال سيبويه ...كان أهل مذكرا تدخله الواو والنون فلما جاء مؤنثه كمؤنث صعب فعل به كما فعل بمؤنث صعب.... وحكى سيبويه في جمع أهل أهلون، وسئل الخليل لمَ سكنوا الهاء ولم يحركوها كما حركوا أرضين؟ فقال؛ لأنَّ الأهل مذكر قيل فلم قالوا أهلات قال شبهوها بأرضات))[٣]. ولهذا لم ترد كلمة الأهل في القرآن الا بلفظ التذكير.

ويرى الباحث بحسب أقوال المعجميين أنَّ مُصطلح الأهل يُطلقُ في الأصل على الزوجة ويدخل غيرها فيه تجوزا، وكما يقول الاصوليون إنَّ أوَّل مَا يَتَبادر إلَى الذِّهنِ عند إطلاقِه ومن دون قرائن هُوَ المعنى الحقيقي، والمعاني الأخرى هي معان مجازية[٤].

أمَّا لفظ الأهل اصطلاحا فلم يختلف عمَّا ذكره المعجميون، فقال أبُو البَقَاءِ الكفويُّ في كلّيَّاته ((هُم من يَجْمعُهُمْ وإيَّاهُ مَسْكَنٌ وَاحِدٌ... ثُمَّ اتَّسَعَ هَذَا المَعنَى لِيَشمَلَ كُلَّ مَن يَجمَعُهُ وإيَّاهُم نَسَبٌ، أوْ دِينٌ، أوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُما))[٥].ويتوسَّعُ البقاعِيُّ في إطلاق هذا المَفهُومِ؛ إذ يَقولُ: ((هُم كُلُّ مَن يكون له من إلزَامِ النَّبِيِّ من الرِّجَالِ والنِساء من الأزواجِ والإماء والأقَارب)) [٦]، وَقَال الزُّحَيلِيُّ: ((وَأهل البَيت كُلُّ مَن لازمَ النَّبِيَّ مِن الأزواجِ وَالقَرَابَة))[٧] .

* * *

(١) تفسير القمي ٤٥٣/١.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي ١٦ /٤٩
(٣) لسان العرب ٢٨/١١.

(٤) ينظر: دروس في علم الأصول ، السيد محمد باقر الصدر ١ / ١٩٠
(٥) يُنظر: الاستذكار، ابن عبد البر ٨/ ٤٤٩.
(٦) نظم الدُّرر ١٥/ ٣٤٦، ويُنظر: تفسير المراغي ٢٢/ ٧.
(٧) التفسير الوسيط ج٣/ ٢٦٠٩.

المبحث الثاني
أنماط التعبير القرآني
في آيات أهل البيت

لكل نمط من أنماط السياق خصوصية في التعبير القرآني، فالسياق النحوي يبرز بواسطة البنية النحوية وعلاقات الكلمات ووظائفها ومواقعها من حيث التقديم والتأخير، والذكر والحذف، ومجيء الفعل ماضيا أو مضارعا، أو عود الضمير، أو التذكير والتأنيث، والسياق الصرفي الذي يركز على السوابق واللواحق والزوائد، أمّا السياق الصوتي فيتجلّى عن طريق التنغيم في الآيات فضلا عن الايحاء الصوتي للكلمات القرآنية[١]، وسنعرض أنماطا مهمة في التعبير القرآني لتبيين عنوان (أهل البيت) وكما يأتي .

١- المغايرة في الخطاب القرآني من ضمير الإناث إلى ضمير الذُّكورِ.

إنَّ انتقال الخطاب القرآني من صيغة المفرد أو الجمع المؤنث إلى صيغة الجمع المذكر هو أمر واسع الاستخدام في التعبير القرآني وفي لغة العرب، وسيكون الكلام في نمطين ذكرهما القران الكريم وأعطى المفسرون والبلاغيون العلة في هذا الانتقال وكما يأتي:

أ- المغايرة من ضمير المؤنث المفرد إلى ضمير الذكور.

ونجد هذا النمط واضحا في مخاطبة زوجة إبراهيم(عليه السَّلام) بـ(عليكُم أَهلَ البيت)، قال تعالى ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢﴾ [هُود : ٧١ - ٧٢].

نلاحظ أنَّ القُرْآن انتقل من ضمير المؤنث إلى ضمير الذُّكُور، مع بقَاء الأُنثَى(زوجَة إبراهِيمَ) تحت الخطاب القُرآنيِّ؛ ونلاحظ أنَّ الخطاب قد انتقل بتغيير الجنس والصّيغة مَعًا؛ أي تَغَيَّر الجنس من المُؤنَّث إلى المُذكَّر وتغيَّرت الصيغة، من المُفرد إلى الجمع، وكما يأتي ((ضَحِكَت.. بَشَّرنَاهَا..قَالَت..أَأَلِدُ..أَتَعْجَبِينَ...عَلَيكُم أَهلَ البَيت)).

وقد أكَّد المفسرون صحَّة الانتقال من ضمير الإنَاث إلى ضمير الذُّكُور يقول البغوي: ((روعي لفظ الأَهل وإن كان المراد النساء، كما يُقال للرجل: كيف حال أهلك؟ والمراد امرأتك أو نساؤك فيجيب: هم بخي، وفي مثل هذا يقول الله تعالى: {أَتَعْجَبِينَ مِن أَمرِ اللَّهِ رَحمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُم أَهلَ الْبَيْتِ))[٢]. ((وفيه دليلٌ على أَنَّ الأَزواج من أَهل البَيت. إِنَّهُ حَمِيدٌ

(١) السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني ٣٧.

(٢) تفسير البغوي ١٨٣/٣.وينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ١٧/٢٣.

مَجِيدٌ))[١]. وأيّد القرطبي صحة وقوع هذا النمط القرآني بقوله: ((وَإِذَا اجْتَمَعَ الْمُذَكَّرُ وَالمُؤَنَّثُ غُلِّبَ المُذَكَّرُ، فَاقتَضَتِ الآيَةُ أَنَّ الزَّوْجَاتِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ؛ لِأَنَّ الآيَةَ فِيهِنَّ، وَالمُخَاطَبَةَ لَهُنَّ يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الكَلَامِ))[٢].

وبيَّن الزمخشري النكتة البلاغية للتعبير بـ(أهل البيت مع زوجة إبراهيم، فهو يقول: ((لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة، وأن تسبح الله وتمجّده مكان التعجب، وإلى ذلك أشارت الملائكة في قولها: (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت))[٣].

وعلَّل أبو حيان بأنه ((كَلَامٌ مُسْتَأنَفٌ عُلِّلَ بِه إِنكَارُ التَّعَجُّب، كأَنَّهُ قِيل: إِيَّاكَ وَالتَّعَجُّبَ، فإِنَّ أَمْثَالَ هذِه الرَّحمة وَالبَرَكَةِ مُتَكَاثِرَةٌ منَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ.))[٤]، وذكر ابن عاشور أنَّ المخاطب زوجها وهي فكان التذكير قال: ((رَحمتُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُم أَهْلَ الْبَيْتِ [هود: ٧٣] وَالْمُخَاطَبُ زَوْجُ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ مَعَهَا))[٥].

ب- المغايرة من جمع الإناث إلى جمع الذكور

نجد هذا النمط واضحا في مخاطبة نساء النبي في سورة الاحزاب آية ٣٣، ويلاحظ أنَّ النمط القرآني قَد انتَقل بتغيَّر الجنس من المُؤنَّث إلى المُذكَّر، ولم تتغيَّر الصّيغة ، فقد ثَبتت صيغة الجمع في آيات الزّوجات والنّساء وآيَة التَّطهِير، أمَّا فِي زوجة إبراهِيمَ (عليه السَّلَام)، قَد انتَقَل الخطَاب بتغيِير الجِنس وَالصِّيغَة مَعًا، مِن المُفردِ المُؤَنَّث إلَى الجَمعِ المُذَكَّر.

وأيَّد كثيرٌ من المفسرين هذا النمط القرآني مع ذكر التعليل قَال الرَّازِيّ في تَفسِيرِهِ: ((ثُمَّ أَنَّ اللهَ تَرَكَ خِطَابَ المُؤَنَّثَاتِ، وَخَاطَبَ بِخِطَابِ المُذَكَّرِينَ بِقَولِهِ: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾؛ لِيُدْخِلَ فِيهِ نِسَاءِ أَهْلِ بَيتِهِ وَرِجَالَهُم))[٦]، وعلل القرطبي هذه المغايرة بقوله ((وقال عَنكُم؛ لأنه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة {وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً}))[٧].

وذكر ابن هشام معنى التغليب بقوله: ((التغليب إنما هو لفظ يعمّ القبيلتين ويجرى عليهما معا حكم أحدهما كقوله تعالى ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ وكقوله تعالى بعد خطاب

(١) تفسير البغوي٢/٤٥٧.
(٢) تفسير القرطبي١٤/١٨٣. وينظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي١١/٢٠٨، لباب التأويل في معاني التنزيل ٢/٤٩٤.، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٣/١٩١، تفسير الطبري ١٥/٤٠٠.
(٣) تفسير الزمخشري ٢/٤١١، وينظر: تفسير النسفي ٢/٧٣، الأساس في التفسير ٥/٢٥٨٣،
(٤) البحر المحيط ٦/١٨٤.
(٥) التحرير والتنوير ٢٢/١٤.
(٦) تفسير الرازي ١٣/ ٢١٠، وأضواء البيان ٦/ ٢٣٨.
(٧) تفسير القرطبي ١٤/١٨٠.

نساء النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾...فأعاد ضمير الذكور العقلاء على كل دابة على سبيل التغليب))[١]، وعليه مجموعة من المفسرين ((وإنّما ذكّر الخطاب؛ لأنّ رسول الله ﷺ كان فيهم وإذا اجتمع المذكّر والمؤنّث غلب المذكّر))[٢]، ((ولقصد التعميم أورد ضمير المذكر وقد أورد الله سبحانه هذا الكلام في مقام التعليل لما سبق يعنى إنما يريد الله سبحانه فيما امركن به ونهاكن عنه لإذهاب الرجس))[٣].

وأعطى الشنقيطي تعليلين لمن اعترض على المغايرة، قال: ((فَالجَوَابُ من وَجهَينِ: الأَوَّلُ:... أَنَّ الآيَةَ الْكَرِيمَةَ شَامِلَةٌ لَهُنَّ وَلِعَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَفَاطِمَةَ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ عَلَى تَغلِيبِ الذُّكُورِ عَلَى الإِنَاثِ فِي الجُمُوعِ وَنَحوِهَا،... الْوَجْهُ الثَّانِي: هُوَ أَن مِنْ أَسَالِيبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ أَنَّ زَوْجَةَ الرَّجُلِ يُطْلَقُ عَلَيْهَا اسْمُ الْأَهْلِ، وَبِاعْتِبَارِ لَفْظِ الْأَهْلِ تُخَاطَبُ مُخَاطَبَةَ الْجَمْعِ الْمُذَكَّرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مُوسَى: فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا [٢٠ \ ١٠] ، وَقَوْلُهُ: سَآتِيكُمْ [٢٧ \ ٧] ، وَقَوْلُهُ: لَعَلِّي آتِيكُمْ [٢٠ \ ١٠] ، وَالْمُخَاطَبُ امْرَأَتُهُ))[٤].

وأكّد الطاهر بن عاشور مجيء هذا النمط القرآني معللا ((وَإِنَّمَا جِيءَ بِالضَّمِيرَيْنِ بِصِيغَةِ جمع الْمُذَكَّرِ عَلَى طَرِيقَة التغليب؛ لاعتِبَار النبيء ﷺ فِي هَذَا الْخِطَابِ؛ لِأَنَّهُ رَبُّ كُلِّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهِنَّ، وَهُوَ حَاضر هَذَا الخِطَابِ إِذْ هُوَ مُبَلِّغُهُ. وَفِي هَذَا التَّغْلِيبِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ هَذَا التَّطْهِيرَ لَهُنَّ لأجل مقَام النبيء ﷺ لِتَكُونَ قَرِينَاتُهُ مُشَابِهَاتٍ لَهُ فِي الزَّكَاة وَالْكَمَالِ، ... وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ فِي قصَّة إِبْرَاهِيم: رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ [هود: ٧٣] وَالْمُخَاطَبُ زَوجُ إِبرَاهِيم وهُو معَهَا))[٥].

واعطى الشَّعْرَاوِيُّ علة الستر لهذا النمط القرآني: ((إِنَّهَا تَتَحدَّثُ عَنِ النِّسَاءِ، لَكِنَّها تُراعِي مَسْألَةَ سَتْرِ المَرأَةِ فَتَعُودُ إِلَى ضَمِيرِ الذُّكُورِ؛ لأَنَّ أَمْرَ المَرأَةَ مَبنِيٌّ عَلَى السَّتْرِ.. فَإِذَا كَانَ ٱسمُهَا مَبنِيَّاً عَلَى السَّتْرِ؛ فَكَذَلِكَ مُعْظَمُ تَكَالِيفِهَا مَبنِيَّةٌ عَلَى السَّتْرِ فِي الرَّجُلِ.. وَنَادِرَاً مَا يَأْتِي الحُكْمُ خَاصَّاً بِهَا))[٦].

وذكر مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية النكتة البلاغية من هذه المغايرة قال: ((وأما خطاب النسوة بميم الجمع فالذي يظهر أن النكتة فيه قصد التعظيم؛ لأنّ التعظيم لا يكون بضمير الإناث الدال على الجمع، فلا يقال للأنثى الواحدة: أنتن قلتن، فيما أعلم. إنما

(١) شرح التسهيل لابن مالك ٤١١/٢. وينظر: الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط ١٨٥/٧
(٢) الكتاب: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ،الثعلبي، ٣٥/٨. وينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان٥/٤٦٠.
(٣) التفسير المظهري٣٣٩/٧.
(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي ٢٣٨/٦.
(٥) التحرير والتنوير١٤/١٢.
(٦) يُنظر: تفسير الشعراوي ١٢/ ١٢٠٢٦- ١٢٠٢٧.

يكون التفخيم بميم الجمع، والمخاطِب حين يخاطب الأنثى أو الإناث بـ"أنتم" ونحوها لا يكون في باله غير التفخيم، وهو معنى صحيح، ولا خطاب له غير هذا اللفظ، فلم تضع له العرب لفظا خاصا، ولم يكن للنساء عظمة، إنما التعظيم للرجال)) [١].

واعطى المجمع العلمي مجموعة من الاعتبارات: ((أولها: أن الغالبَ في مقتضِيات التعظيم -من جاهٍ أو منصب أو مُلك أو نحوِها- أن تكون للرجال، شَرعًا وعُرفًا وواقعًا. ثانيها: أن ضمير الذكور أعمُّ دلالةً من ضمير النسوة؛ لأنه يدخل فيه الإناث -على وجه التغليب- إن شاركن الذكور في مرجعه. وضمير النسوة لا يتمحض إلا للإناث، أو لغير العاقل من الذكور.

ثالثها: أن ضمير الذكور لا يُستعمَلُ لغير العاقل، إلا على وجه تنزيلِه منزلة العاقل. وأما ضميرُ النسوة فيستعمل للعاقل وغير العاقل، وفي هذا انحطاطٌ له عن درجة ضمير الذكور.

رابعها: أن استعمالَ ضمير الذكور في خطاب الأنثى للتعظيم أضحى نهجًا لغويًّا شائعًا في عصرنا في المكاتبات والمخاطبات؛ والعادة محكمة إن لم تخالف أصلًا أو قياسًا صحيحًا)) [٢].

فيقال فلانة وزير، فلانة وكيل، فلانة نائب فلانة عميد.

ويمكن القول للمعترضين القائلين ((لو عنى بها أزواج النبي لقال: ليذهب عنكن الرجس ويطهركن تطهيرا، ولكان الكلام مؤنثا)) [٣]، يمكن القول إنه لا فرق في الخطاب القرآني بَينَ [...وَأَقِمْنَ..وَآتِينَ..وَأَطِعْنَ... عَنكُمُ أَهْلَ الْبَيْتِ] (الأحزاب).

و [..ضَحِكَتْ..بَشَّرْنَاهَا..قَالَتْ..أَأَلِدُ.. أَتَعْجَبِينَ...عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ](هود)، وأن المعترضين لا يوجد عندهم إشكال واعتراض في الخطاب القرآني لزوجة ابراهيم ولا يوجد عندهم اشكال واعتراض على الخطاب القرآني لزوجة موسى بضمير المذكر [٤] فلماذا اعترضوا على أهل البيت في سورة الاحزاب ؟؟؟!!!!

ت - خَطَاب الأنثى بضمِير الجَمع المُذَكَّرِ في القران ولغة العرب

ذكر القران الكريم شواهد قُرْآنِيَّة مُتَعدّدة تؤكد صحة خَطَاب الأنثى بضمِير الجَمع المُذَكَّرِ، ومنها خطاب مُوسى (عليه السَّلَام) لزوجته بضمير الجَمع المُذَكَّرِ، فقد جاء التعبير القرآني في الاشارة إلى زوجة مُوسَى (عليه السَّلَام) بِعُنوَانِ أهلِهِ، وكما يأتي في الآيات القرآنية الآتية:

(١) الفتوى (١٣٠٤): https://www.m-a-arabia.com/site/23087.html

(٢) الفتوى (١٣٠٤): https://www.m-a-arabia.com/site/23087.html

(٣) ينظر: تفسير القمي، ج ٢ / ١٩٣، العصمة ، كمال الحيدري ٢٤٢.

(٤) تفسير القمي ٢ /١٣٧، بحار الأنوار ١٣ / ٢٧، تفسير نور الثقلين ٤ / ١٢٨ تفسير الميزان ١٦ /٤٠.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لأهله إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾}النمل(٧) {فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا..لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ}[طه (١٠)].

- {سَارَ بِأَهلِهِ..قَالَ لِأَهلِهِ امْكُثُوا..لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنهَا..لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ}[القصص(٢٩)].

وهنا نلاحظ تكرارا في الخطاب القُرْآنيّ لزوجَة مُوسى بعُنوان الأَهل؛ مع اسْتِخدامِ ضمير الجمع المُذَكَّر، وأيده كثيرٌ من المفسرين، ففي التفسير الوسيط قال:((والمراد بأهله: زوجته ، وهى ابنة الشيخ الكبير الذى قال له - بعد أن سقى لابنتيه غنمهما- : (قَالَ إِنِي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابنتي هَاتَيْنِ على أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ))[١]، وذكر عبد القادر بن عمر البغدادي صحة هذا النمط القرآني بقوله: ((قد تخاطب المرأة بخطاب جمع الذكور، أو يكنى عنها بضمير جمع المذكر؛ مبالغة في سترها، ومنه قوله تعالى: {قال لأهله امكثوا}))[٢].

وقدّم الالوسي تعليلا قال: ((ولعل اعتبار التذكير...هنا أدخل في التعظيم فلم يقل: (امكثي)، بل (امكثوا) وكأنّها هي كل الناس عنده فناداها بصيغة الجمع، محبة وتقديرا لها ولصبرها ولطاعتها زوجها))[٣]، وأكّد هذا المعنى صاحب تفسير الأمثل: ((أنّ الخطاب بصيغة الجمع (آتيكم) يوحي بالاطمئنان في هذه الصحراء الموحشة!))[٤].

وذكر بعض المفسرين[٥] أنَّ هناك قرائن تُشيرُ إلى أَنَّ كلام موسى (علَيه السَّلَام) وخطابهُ قد توجَّه مُباشرةً لزوجته، وأنَّها كانت بمُفردها حين خَاطَبهَا مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَام)، فقد جاء تَأكِيدٌ روائيٌّ على نَفيِ الولد عن مُوسى (عَلَيْهِ السَّلام) حين سار بأَهله، فعَن الإمامِ البَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَام): ((مَاتَ هَارُونُ قَبلَ مُوسَى(عَلَيْهِمَا السَّلَام)، وماتَا جَميعًا فِي التِّيهِ، قُلْتُ (الرّاوِي): فَكَانَ لِمُوسَى وَلَدٌ؟؟ قال (عليه السَّلام):((لَا، كان الوَلَدُ لهارُون وَالذُّرِّيَّةُ لهُ))[٦].

ويتّضح من أقوال المفسرين أَنَّ الخطَاب مُوجَّهٌ لزوجة مُوسى (عليه السَّلام) وخاصٌّ بِهَا بمُفردها، وأنَّ النَّسق والبيان والفَصاحة والبلَاغة القُرآنِيَّة قد استخدمت ضمير الجمع المُذكَّرِ في مخاطَبة المُفرد المُؤنَّث؛ وهذا شاهدٌ ودليلٌ على أَنَّ صحَّة الخطاب بالجمع المُذَكَّر للمُفرد المُؤَنَّث تُثبتُ صحَّة الخطاب بالجمع المُذَكَّر للجمع المُؤَنَّثِ في آيَة التَّطْهِيرِ مع زَوجاتِ النَّبِيِّ ﷺ، خاصَّة مع يَقِينِيَّة دُخُوله ﷺ مَعَهُنَّ(رَضِيَ اللهُ عَنهُنَّ).

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي١٠/٣٠٤.
(٢) خزانة الأدب:١/١٩٠
(٣) تفسير الالوسي: ١١/١٩٤.
(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٢ / ١٧
(٥) تفسير مجمع البيان ٧ / ٤٣٧، بحار الأنوار ١٣ / ١٣٣
(٦) تفسير القمي ٢ /١٣٧، بحار الأنوار ١٣ / ٢٧، تفسير نور الثقلين ٤ / ١٢٨ تفسير الميزان ١٦ /٤٠.

أما في لغة العرب والعُرف، فالثَّابتُ استعمالُ ضمِيرِ الجمع المُذَكَّر للتَّعبير عن المُفرد المُؤَنَّث وعَن المُفرَد المُذَكَّرِ، في حال التَّفخيم وَالتَّعظِيمِ وَالتَّعَفُّفِ والسِّترِ وغَيرِهَا:

ويمكن أن نلحظ المغايرة في قَصيدةٍ للعرجِيِّ وهو من شعراء العصر الأموي [١]، فقد استعمل في قصيدته الدالية بعنوان: (لقد أرسلت في السر ليلى تلومني)[٢] ضمير الجمع المُذكَّر للمُخاطب المُفرد المُؤَنَّث وللمُخاطب المُفرد المُذكَّر قال:

لَقَد أَرْسَلَتْ فِي السِّرِّ لَيْلَى تَلُومُنِي
وَتَزعُمُني ذا مَلَّةٍ طَرِفاً جَلدا
تَقولُ لَقَد أَخلَفتَنا ما وَعَدتَنا
ووالَلهِ ما أَخلَفتُها طائِعاً وَعدا
تعُدّينَ ذَنباً أَنتِ قَبلي جَنَيتِهِ
عليَّ ولَا أُحْصِي ذُنُوبَكُم عَدَّا
أَفِي غَيْبَتِي عَنْكُمْ لَيَالٍ مَرَضْتُهَا
تَزِيدينَني لَيلى عَلى مَرَضي جَهدا
غَدًا يَكْثُرُ البَاكُونَ مِنَّا وَ مِنْكُمُ
وَتَزْدَادُ دَارِي مِن دِيَارِكُمُ بُعْدَا
فَإِنْ شِئْتِ أَحْرَمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ
وَإِن شِئْتِ لَم أَطعَم نُقاخاً وَلا بَردا
وَإِن شِئْتِ غُرْنَا مَعَكُم حَيْثُ غُرْتُمُ
بِمَكَّةَ حَتّى تَجلِسُوا قابِلاً نَجدا
فَقَالَتْ وَأَذْرَفَتْ دَمْعَهَا لَا بَعِدْتُمُ
فَعَزَّ عَلَينَا أَنْ نَرَى لَكُمُ بُعْدَا[٣]

ونلاحظ أنَّ العرجي كرَّر استعمال ضمير الجمع المُذَكَّر في مُخاطبتِه لليلى المُفرد المُؤَنَّث، واستُعمِل ضميرُ الجَمع المُذَكَّر في مُخاطَبة العرجِيِّ المُفرَد المُذكَّر، في حال كَون ليلى هي الَّتِي تُخاطب العَرْجيَّ قال:

تَقولُ لَقَد أَخلَفتَنا ما وَعَدتَنا
ووالَلهِ ما أَخلَفتُها طائِعاً وَعدا

وقال ايضا في قصيدة أخرى:

لَقَد أَرسَلَت لَيلى رَسُولاً بِأَن أَقِم
وَلا تَقرَبَنّا فَالتَجَنُّبُ أَمثَلُ[٤]

وهناك الكثير من القصائد التي تبين صحة المخاطبة ، ومنها قَصائِد لجميل بُثَينَة[٥] والحارث المخزومي[٦]،وشعراء آخرون[٧]، وبعد ذكر الشواهد في القران واللغة، يَأْتِي المعترضون ويدَّعون عدم دخول أُمّهات المُؤمنين (رضِي اللهُ عَنهُنّ) في آية التَّطهير، لمُجرَّد تَحوّل ضمير

(١) عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفَّان، أبو عمر العرجي الأموي القرشي، من أعيان شعراء الغزل، وُلِد في مكة المكرمة سنة ٤٠هـ، توفي سنة ١٢٠هـ ينظر: ديوان العرجي ص٦-١٤.

(٢) اختلف في نسبة هذه القصيدة بين العرجي وعمر ابني ربيعة ينظر: ديوان العرجي وديوان عمر ابن ابي ربيعة.

(٣) ديوان العَرجِيّ جمع وتَحقيق وشَرح: د. سجيع الجبيلي دار صادر: بَيرُوت].

(٤) ديوان العرجي ١٢.

(٥) ديوان جميل بثينة ٧٣.-٧٥.

(٦) ينظر: شِعْر الحَارث بن خَالِد المَخْزُومِي(٨٨.-٩٢) . تَحقيق: د. يَحْيَى الجبوري

(٧) ينظر: ثَلاثَة شُعَراء مقلون(١٥٠) . جَمع وتحقِيق ودراسة د.شَريف راغب علاونه، أحكام القرآن للجصاص٣/ ٤١٤.

الخطاب مِن جمع المُؤَنَّث إلى جمع المذكَّر!!!!

٢ : تقديم الجار والمجرور على المفعول به

حقّق أسلوب التقديم والتأخير في آيات القرآن الكريم عبر أنماطه المختلفة وسياقاته المتنوّعة دلالات ومعاني بلاغيّة جليلة كالاهتمام ،والعناية ،والتشويق، وغيرها، قال سيبويه: ((كأنَّهم يُقدِّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وأن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم))[١].

ونجد الاهتمام والعناية واضحا في تقديم الجارِّ والمجرور(عنكم)على المفعول به(الرجس) فالآية القرآنيَّة الكريمة جاءت خلاف الأصل في الترتيب اللغويّ والنحويّ؛ على الشكل الآتي:

أداة الحصر (إنما) + فعل (يريد)+ فاعل (اللّه) + ليذهب (اللام للتعليل ويذهب فعل مضارع)+ عنكم (جار ومجرور) + الرجس (مفعول به) .

والأصل في الجملة الفعليّة أن يأتي الفعل أولاً ثم الفاعل والمفعول ثم بقية الفضلات (الجار والمجرور، الظرف...) وفي ذلك دلالةٌ على أنّ المخاطب في الآية هو محلُّ العناية وموطن الاهتمام، ويميل الباحث إلى القول: إنَّ تقديم الجار والمجرور (عنكم) على المفعول به (الرجس) جاء ليفيد اختصاص الضمير في (عنكم) بإذهاب الرجس دون غيرهم.

وقريب مما سبق قوله تبارك وتعالى ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ وقد قدّم الجار والمجرور (لها) للاختصاص؛ وذلك لأن مضاعفة الاجر والعذاب خاصة بهن دون غيرهن؛لشرفهن وعلو منزلتهن ،فما قبح من سائر النساء كان منهن أقبح فقبح المعصية تبع لزيادة الفضل[٢]، ومنه قوله لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَ [يونس: ٢٦]، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً﴾ الأنفال ١٩ ، وكذلك جاء الضمير(عنكم) في قوله تعالى﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾، مقدّماً على كلمة (الرجس)، لغاية تُرجى مِنْ ورائه ؟ وهي أنّ دلالة التقديم لها مغزىً، ويكتنفها معنى، وهو حصر إذهاب الرجس، وهم أهل بيت النبيّ ﷺ المشتمل للرسول الاكرم ولزوجات النبي الاكرم وآله عليهم وعليهن الصلاة والتسليم .

وعُلِم أن الضمير لابُدّ له من عودة على مذكور متقدم: إما لفظاً ومعنىً، وإما لفظاً لا معنىً، و إما معنىً لا لفظاً [٣]، وضمير الخِطاب في لفظ (عنكم) بحسب السياق القرآني يرجع الى الرسول الاكرم والى نساء النبي (رضوان الله عليهن) ، فالضمير (كافُ الخطاب)، في لفظِ (عنكم)، يُقصد منه (أهل البيت)، مع

(١) سيبويه، الكتاب، ١ /٣٤، وينظر: معاني النحو ٣/١٠٥.

(٢) ينظر: دراسة في النظم القرآني في سورة الاحزاب ١٠٧.

(٣) الوافية شرح نظم الكافية ١ / ١٥٩ .

تخصيص الإذهاب- أي إذهاب الرجس - بهم وقصرِه عليهم .

والشواهد من القرآن كثيرةٌ لا تكاد تحصى، وقد اتضح لك مما تقدم، أنَّ انتقال الخطاب القرآني من صيغة المفرد أو الجمع المؤنث الى صيغة الجمع المذكر هو أمر واسع الاستخدام في التعبير القرآني وفي لغة العرب، فضلا عما ذكره ابن منظور نقلا عن سيبويه بأن كلمة أهل لفظ مذكر لذلك تأخذ ضمير المذكر حتى وإن دلّت على النساء[١]

٣- حذف ياء النداء

يُعد الإعراب من أهم السبل الموصلة إلى فهم القرآن الكريم، ومعرفة معانيه، وكشف أسرار إعجازه ؛لأنّه يبين المعاني، ويُفرّق بينها، ويُزيل الغموض عنها، ويُكسب المعنى ضبطًا وتشخيصًا[٢]، وقد ارتبط الحديث عن دلالة الإعراب بالحديث عن الإعراب نفسه؛ لأنّ المقصود بالإعراب العلامة الإعرابية ، وهي دليل على معاني الإعراب ويراد بها المعاني النحوية[٣].

وجاء النمط القرآني في مخاطبة أهل البيت بمزية حذف حرف النداء، وهو مشعرٌ بالتقريب والتكريم ، فكأنّ أهل البيت في حضرة الملك القدوس، وفي المكانة المتسامية، يخاطبون خطاب القرب والملاطفة[٤].

واختلف النحويون في إعراب كلمة (أهل البيت) هل هي منصوبة على الاختصاص أو المدح أو تعرب منادى، وذكر السمين الحلبي الأوجه المحتملة في إعراب كلمة أهل قال: ((«أهلَ البيتِ» فيه أوجه: النداء والاختصاص، إلاَّ أنه في المخاطب أقلُّ منه في المتكلم. وسُمِعَ «بك اللَّهَ نرجو الفضلَ» والأكثر إنما هو في المتكلم كقولِها:- نحن بناتِ طارِقْ ... نَمْشِي على النمارِق، وقوله... «نحن معاشرَ الأنبياءِ لا نورث» أو على المدح أي: أمدحُ أهلَ البيتِ))[٥]، وذكر ابن هشام الانصاري ضعف إعراب أهل البيت على الاختصاص بقوله: ((إن أهل مَنْصُوب على الِاخْتِصَاص وَهَذَا ضَعِيف لوُقُوعه بعد ضمير الْخطاب مثل بك الله نرجو الْفضل وَإِنَّمَا الْأَكْثَر أَن يَقع بعد ضمير التَّكَلُّم كالحديث نَحن معاشر الْأَنْبِيَاء لَا نورث وَالصَّوَاب أَنه منادى))[٦].

ورجّح الصبان في حاشيته النصب على النداء بقوله((قوله: "وأهل البيت" قيل منه إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، والصحيح كما في المغني أنه منادى حقيقة؛ لأن الاختصاص بعد ضمير الخطاب

(١) لسان العرب ٢٨/١١
(٢) ينظر : معاني النحو ٣٣/١.
(٣) ينظر :دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء: ٢٥.
(٤) ينظر: من أسرار التعبير القرآني ٢٩٥.
(٥) الدر المصون ١٢٣/٩، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ٥٤٧/١٥.
(٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ٧١٤.

قليل))[١]، وذكر صاحب تفسير الجلالين أنَّ التقدير ((يَا {أَهْل الْبَيْت}))[٢].

وعلل الدكتور السامرائي علة حذف حرف النداء بقوله: ((قد يكون الحذف لقرب المنادى من المنادى، سواء كان القرب حقيقا ماديا، أم معنويا فكأن المنادي لقربه لا يحتاج إلى واسطة لندائه، ولو كان حرف نداء كأن تقول لمن تناديه وهو قريب منك: (خالد أتدري ماذا حل بفلان)؟ ونحو قوله تعالى: {رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت} [هود: ٧٣]، وقوله: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} [الأحزاب: ٣٣]، وقوله: {اعملوا آل داود شكرا} [سبأ: ١٣]، فهذا للقرب المعنوي))[٣].

ويرجح الباحث النصب على النداء؛ لكونه المشعر بالتقريب والتكريم وهو المناسب للسياق القرآني، ويؤيد ذلك ما ذكره الصبان في حاشيته بقوله ((والصحيح كما في المغني أنه منادى حقيقة ؛ لأن الاختصاص بعد ضمير الخطاب قليل))[٤].

ثالثا: أثر النسق و السياق القرآني في عنوان أهل البيت

إنَّ السّياق في التعبير القرآني له خصوصية متفرّدة ؛ذلك أنَّ النص القرآني حمال أوجه إذ تتعدد عنده الوجوه بتعدد السياقات مما يكون له أثر في توجيه الدلالة وتنويعها[٥]، والسياق هو بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه، أو تلك الاجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة وهو ما يسمى بالقرينة الحالية [٦]. وقد عرّفه السيد محمد باقر الصدر(قدس سره) بقوله: ((السياق كل ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه من دوال أخرى سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاما واحدا مترابطا، أو حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع))[٧].

وتستمد دلالة السياق القرآني أهميتها من كونها تفسير للقران بالقران نفسه، إذ إنها ((بيان المعنى من خلال تتابع المفردات، والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة، بل إنَّ سياق الآية، وسياق المقطع من أعلى مراتب تفسير القران

(١) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك٣/٢٧٧.
(٢) تفسير الجلالين ٥٤٤.
(٣) معاني النحو٤/٣٢٥.
(٤) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك٣/٢٧٧.
(٥) السياط وانماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني م. د. خليل خلف بشير العامري مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ٣٧
(٦) ينظر : معجم المصطلحات الادبية ، ابراهيم فتحي ٢١٠.
(٧) دروس في علم الأصول السيد محمد باقر الصدر، مؤسسة النشر الإسلامي، ص١٠٣-١٠٤.

بالقران؛ لأنه في محل واحد))[١].

وبيَّن فندريس تأثير السياق على المعنى بقوله: ((إننا حين نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع الى حد ما ،إذ لا يطفو في الشعور إلى المعاني المختلفة التي تدل عليها الكلمات الا المعنى الذي يعينه سياق النص، أما المعاني الأخرى فتمحى وتبدد ولا توجد اطلاقا))[٢].

ومن يقرأ سورة الأحزاب من الآية الثامنة والعشرين إلى الآية الخامسة والثلاثين (٢٨-٣٥)، يجد أن النسق والسياق يوكد أنَّ زوجات خَاتَم النَّبِيِّينَ ﷺ داخلاتٌ تحت عُنوان أَهل البيت وآية التَّطهير، وكما يأتي:

المقطع الأول: السياق وحُكم التَّخيير لِلزَّوجات وما يترَتَّبُ عليه .

نجد في سُورة الأَحزاب ان الآيتين (٢٨-٢٩) خصت الزوجات ، أن النَّصّ القُرْآنِيّ بدأ بلفظ النداء (أيها)؛ لأنّ فيها التأكيد والتنبيه، وأسبابا من المبالغة، والسياق والمقام يناسب المبالغة والتأكيد[٣]، فكان النداء يا أيها النبي بوصف النبوة ؛لأنَّ المقام مقام إنباء لأزواجه وتبليغ بالاختبار[٤]،الآيتين (٢٨ و ٢٩) وأكد ابن عاشور أن الغرض من النداء هو مزيد اختصاص به، وهو غرض تحديد سيرة أزوجه معه سيرة تناسب مرتبة النبوة[٥] .

وأثبت السياق القرآني أنَّ الله عزَّ وجل أمر النبي ﷺ) بتخيير زوجاته[٦] بين نعيم الدنيا وزينتها مع الطلاق وترك النبي عليه الصلاة والتسليم، وبين البقاء على الزوجية ومعيشة الكفاف والزهد، والتَّخيير كان واجبًا على النَّبيّ عليه السَّلَام؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا قَال لَهُ قُلْ لَهُمْ[٧]، وبطبيعة الحال أنَّ حرية الاختيار كانت شاملةً لكل الزوجات قَال (تَعَالَى): ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ؛ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا...وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ..﴾[٨]، وهذه الخصوصية لأُمَّهات المُؤْمِنِينَ (رضِي اللهُ عنهنَّ)؛ لأَنهُنَّ زَوجاتُ النَّبِيِّ، لأَنهُنَّ مِن نسَاءِ النَّبِيِّ لِأَنَّهُنَّ مِن أَهل بَيتِ النَّبِيِّ ﷺ.

وجاء التعبير القرآني بالأفعال المضارع (تُرِدْنَ -أمتعْكن- أسرحكن) للدلالة على التجدد والحدوث، وأنَّ الاختيار سيكون لازما في الأحوال كلها[٩]، وجزم) (امتعكن في جواب تعالين وهو اسم فعل وليس أمرا ليكون فيه معنى الجزاء بمجرد إرادة أحدهن الحياة الدنيا)[١٠]،

(١) وظائف السياق في التفسير القرآني عقيد خالد عزاوي ، محمد شاكر ٦٢.
(٢) اللغة فندريس ٢٢٨.
(٣) ينظر: الاتقان في علوم القران ٢٨٣/٣.
(٤) ينظر: من اسرار التعبير القرآني ٢٤٣-٢٤٤.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٣١٥/٢١.
(٦) نكت القران ٦٤٩/٢- ٦٥٤
(٧) تفسير الرازي ١٦٥/٢٥.
(٨) ينظر: من أسرار التعبير القرآني ٢٤٩.
(٩) ينظر: بلاغة الخطاب في سورة الاحزاب ٣٠٢.
(١٠) ينظر: التحرير والتنوير ٣١٦/٢١، إعراب القرآن وبيانه ٨/٨.

وسيكون سراحا جميلا ،أي ان المفارقة إن تمت تتم باللطف والرأفة[١].

وجاء التعبير القراني في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾ ((لِيَعْلَمنَ أَنَّ هَذَا الْأَجْرَ حَاصِلٌ لَهُنَّ عَلَى قَدْرِ إِحْسَانِهِنَّ فَهَذَا وَجْهُ ذِكْرِ وَصْفِ الْمُحْسِنَاتِ))[٢] ، وذكر الشنقطي أنّ قرينة السياق صريحة بدخولهن، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ [٣٣ \ ٢٨] ، ثُمَّ قَال في نَفْس خطَابه لَهُنَّ: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيت، ثُمَّ قَال بعدهُ: وَاذكُرن مَا يُتلى في بُيُوتكُنَّ الْآيَةَ [٣].

المقطع الثاني :مضاعفةُ الحسنة أَو السَّيِّئة في الجزاء

يستمر الخطابُ القُرْآنِي لنساء النبي في الآية ٣٠ وما بعدها، فَصَارَ جَزَاءُ السَّيِّئَةِ مضاعفا؛ قال تعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ الأحزاب٣٠. وذكر القران الكريم أنّ جَزَاء السَّيِّئَةِ بِسَيِّئَة مِثلِهَا، قال تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾غافر٤٠، ﴿مَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾الأنعام١٦٠، ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ يونس٢٧، فلماذا اختلَف الحكم مع نِساءِ النَّبِيِّ زوجات النَّبِيِّ وَبنَاتِه ﷺ؟؟!، وهذا التعبير القرآني المركب المؤكد (يضاعف... ضعفين) لم يقع في القرآن كله الا في هذه الآية [٤].

ويجري نفس الحكم في الحسانات فإذَا كان جزَاء الحسنة بعشر حسنات من أَمثالها؛ قال تعالى ﴿من جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الأنعام١٦٠،فَلِمَاذَا اختلف الحُكم مع نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، فَصار أجرُ الحسنَة مرَّتين، فَتُؤْتَى الحسنات العشرة مضاعفة اي عشرين حسنَةً، مع الرِّزق الكرِيم؛ قال تعالى﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ...مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ الأحزاب٣١ .

وقد بُني الفعل للمجهول في الفعل يضاعف تهويلا للعذاب، وقدّم الجار والمجرور في لها للاختصاص ؛وذلك لأنَّ مضاعفة العذاب خاصٌ بهن دون غيرهن[٥]، وذكر المفسرون أنَّ علّة المضاعفة هي اهتمام الله سبحانه وتعالى بأهل بيت النبي، قال الطباطبائي ((انهن واقفات في موقف صعب على ما فيه من العلو والشرف فإن اتقين الله يؤتين أجرهن مرتين وان أتين بفاحشة

(١) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ٤٥٣/١٢.
(٢) التحرير والتنوير ٣١٧/٢١.
(٣) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي ٢٣٧/٦.
(٤) ينظر: بلاغة الخطاب في سورة الأحزاب ٣١٢.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٥/٢٢.

مبينة يضاعف لهن العذاب ضعفين))[١].

وأورد صاحب تفسير مجمع البيان رواية عن علي بن الحسين عليهما السلام، ((أنه قال له رجل: إنكم أهل بيت مغفور لكم، قال: فغضب وقال : نحن أحرى أن يجري فينا ما أجرى الله في أزواج النبي ﷺ وسلم من أن نكون كما تقول. إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب . ثم قرأ الآيتين))[٢].

المقطع الثالث: تكرار النداء والأوامر والنواهي

نجد في المقطع الثالث من سُورَة الأَحزاب الآية ٣٢وما بعدها من الآيات (٣٠ إلى ٣٥) توسعت وشملت نساء النبي ﷺ عمومًا من بنات وزوجات وملك يمين... فنج النَّصّ القُرْآنيّ بدأ: بياء النداء يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ، إِنِ اتَّقَيْتُنَّ؛ وتحته نواهي وأوامر وكما يأتي:

أ- فلَا تَخضَعنَ بِالقَوْلِ، فَيَطمَعَ الَّذِي فِي قَلبِهِ مَرَض.

ب- وَقُلنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا.

ت- وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ.

ث- وَلَا تَبَرَّجنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ.

ج- وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ.

ح- وَآتِينَ الزَّكَاةَ.

خ- وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

د- وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ

ويؤكد التكرار أهمية الغرض الذي يساق من أجله النداء؛ من أجل العناية بنصحهن وخطابهن بأحسن الألقاب[٣]، يقول الألوسي: ((﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾ تلوين للخطاب، وتوجيه له إليهن لإظهار الاعتناء بنصحهن، ونداؤهن ها هنا وفيما بعد بالإضافة إليه عليه الصلاة والسلام؛ لأنها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام)) [٤].

المقطع الرابع :تعليل الاحكام والاوامر والنواهي

أكد المفسرون والمعربون لآياته أنّ موقع إنما يفيد ربط ما بعدها بما قبلها، وهذا ما أكده مجموعة من المفسرين، يقول الطيبي: ((﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ كالاستئنافِ على سبيلِ التعليل للآياتِ السابقة ... وإنما أخَّر {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ}؛ لتكون كالخاتمة التي تشتمل على التخلص إلى نوع آخر من الكلام))[٥].

(١) تفسير الميزان ١٦ / ٣٠٥، وينظر: تفسير مجمع البيان ٨ / ١٥٣، الأمثل ١٣ / ٢٢٩ .
(٢) تفسير مجمع البيان ، الطبرسي ٨ / ١٥٣
(٣) ينظر: من اسرار التعبير القرآني ٢٧٦.
(٤) تفسير روح المعاني ١١/ ١٨٠.
(٥) تفسير فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، (حاشية الطيبي على الكشاف) ١٢/ ٤٢٢

وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره ((إذ هو تعليل لما تضمنته الآيات السابقة من أمر ونهي ابتداء من قوله تعالى ﴿يا نساء النبي من يأت منكن﴾ الأحزاب : ٣٠ الآية . فإن موقع (إنما) يفيد ربط ما بعدها بما قبلها؛ لأنّ حرف (إنَّ) جزء من { إنما } وحرف (إن) من شأنه أن يغني غناء فاء التسبب كما بينه الشيخ عبد القاهر ، فالمعنى أمَركن الله بما أمر ونَهاكُنّ عما نهى لأنه أراد لكُنّ تخلية عن النقائص والتحْلية بالكمالات))[1] .

وذكر محي الدرويش في كتابه إعراب القران ((إنما يريد تعليل لجميع ما تقدّم))[2]؛ وهذا الربط والتعليل لجميع ما تقدّم بحسب النسق والسياق أنَّ زوجَات خَاتم النَّبِيِّينَ ﷺ داخلاتٌ تحت عُنوان أَهل البَيت وآية التَّطهير.

ومن يطالع التعبير القرآني بـ(إنما+ فعل الإرادة) يجده مسبوقا بسياق تبرره كما في قوله تعالى ((فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) التوبة)

المقطع الخامس: السياق يؤكد شمول زوجات النبي الأكرم

ولِلتَّأْكِيدِ على السِّياق ودلالته تُخاطب الآية نساءَ النَّبِيِّ (عليه وعليهنَّ وعلى آلِهِ الصَّلَاةُ والسَّلام): ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾، قال الزمخشري: ((فإنّ سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ أي واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة))[3].

السياق القرآني(المقاطع الخمسة) يسب أزمة عند بعض المفسرين

سببت السّياقاتُ القُرْآنِيَّة أَزمةً وصَارت من الأَسبَاب الرَّئِيسة للقول عند البعض بالتحريف؛ او ان بعض الآيات غريبة عن الاخرى كما في قوله تعالى﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؛ وكان سبب ذلك التعصب المذهبي أو الأخذ ببعض الأوجه الغريبة من لسان العرب دون النظر لاحتمال اللفظة عدّة معاني أحدها الذي يرجحه السياق، او الأخذ بالروايات الضعيفة أو عدم الالتفات للسياق كليا، قال المجلسي ((فلعل آية التطهير أيضا وضعوها

(١) التحرير والتنوير ١٤/٢٢.
(٢) إعراب القرآن وبيانه١٠/٨.
(٣) تفسير النسفي ٣٠/٣، وينظر: الأساس في التفسير ٤٤٣٨/٨

في موضع زعموا أنها تناسبه أو أدخلوها في سياق مخاطبة الزوجات))، قال الطباطبائي: ((فإن قيل: هذا مدفوع بنص الكتاب على شمولها لهن، كوقوع الآية في سياق خطابهن...فالآية لم تكن بحسب النزول جزءاً من آيات نساء النبي ولامتصلة بها، وإنّما وُضعت بينها إمّا بأمر من النبي ﷺ أو عند التأليف بعد الرحلة))[١]، فـ((وقوع بعض الآيات القرآنية التي نزلت متفرقة موقعها الذي هي فيه الان لم يخل عن مداخلة من الصحابة بالاجتهاد))[٢].

وهناك من يسميه العمل التخريبي في تغيير بعض الآيات بقوله: ((أن نقول ولو احتمالا، إنّ عملا تخريبيا قد أُنجز خلال التاريخ وهو وضع الآيات الخاصة بأهل الحق بين قرآئن مغلوطة لكي تنسب لغير أهلها، كما نسبوا هذه الآية لأهل ابراهيم، ونسبوا تلك الآية الى نساء النبي ﷺ. وانما هو قول بتغيير بعض الآيات))[٣].

ويمكن الردّ على ما ذكر بما يأتي:

أ- لو فُتح باب احتمال إقحام مقاطع ضمن آيات بعد العصر النبوي عمداً أو خطأً أو اشتباهاً، فإنّ ذلك يطرح تساؤلاً عن قيمة السياق القرآني داخل الآية الواحدة، فلو أسقطنا حجيّة سياق الآية الواحدة وأثرنا احتمال حصول مثل هذه الاقحامات لأوجب ذلك إجمالاً عظيماً في الكثير من آيات الكتاب؛ وهذا مخالف لآيات حفظ القران الكريم وصيانته من التحريف، كما في قوله تعالى في سورة الحجر ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

ب- مَقطَع التَّطهِيرِ ليس آيةً كَاملةً، بل هُو جُزءٌ من الآيَةِ (٣٣) من سُورة الأحْزَاب، فالآيةُ بجُزأين مُلْتَصِقَيْنِ؛

جُزء١. يتضمَّنُ خطابًا لنساءِ النَّبيِّ(رضي الله عنهن): ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

جُزء٢. يتضمَّنُ معنى التَّطهير لأهل البيت:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ت-: للرد على من قال إنّ آية التَّطهِير غريبة عن آيات النساء وأَحكامها، كقول القمي في تفسيره ((ثم انقطعت مخاطبة نساء النبي وخاطب أهل بيت))[٤]، يمكن الردّ بأن مُقتضى السِّياق أن تُذكَر آيةُ التَّطهير بعد الانْتِهاء من آيات النّساء، مثلما انتقَل الخطاب إلى المُسلمينَ وَالمُسلِمات وَالمُؤْمنين وَالمُؤْمِنَاتِ...بعد أَن انتهى من ذِكر النِّسَاء وَأَهلِ البَيت؛ قال القاضي: وعدم شمول الزوجات لا يناسبُ ما قبل الآية وما بعدها[٥]، فيثبُتُ أَنَّ آيةَ التَّطهيرِ ليست غريبة

(١) تفسير الميزان ١٦ / ٣١٢
(٢) تفسير الميزان ١٢ /١٢٧
(٣) شذرات من فلسفة تاريخ الحسين ص ٦٠ -٦١.
(٤) تفسير القمي ٢ / ١٩٣
(٥) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٤٢١/١٢، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٤٢٩/٤.

عن آيات النّساء وَأَحكامها، بل ترتبطُ بها بحسب السِّياق .

ويتضح مما سبق أنَّ علة الحكم تَرجع أَوَّلًا الى المرَّسُول الأكرم ﷺ .. وثانياً وبالعرض للنِّساء؛ لأَنَّهُنَّ نساء النَّبيِّ لأنَّهنَّ ومن أَهل بيت النَّبِيِّ ﷺ؛لأَنَّ الله عزَّ وجل يريدُ أَن يكون أَهل البيت وكذلك الأقربُ فالأَقربُ على مُستوى عالٍ من التَّقوى والصَّلاح والطَّهارة والتَّكامُل.

* * *

الخاتمة

١- أثبت البحث بحسب أقوال المعجميين، والعُرف، والتَّبادُر أنَّ مُصطلح الأهل يُطلقُ في الأصل الزوجة ويدخل غيرها فيه تجوزا .

٢- إنَّ انتقال الخطاب القرآني من صيغة المفرد أو الجمع المؤنث إلى صيغة الجمع المذكر هو أمر واسع الاستخدام في التعبير القرآني وفي لغة العرب.

٣- مُخاطبة زوجة إبراهيم (علَيه السَّلام) بعليكُم أَهل البيت، دليل على انتقال القُرآن مِن ضمير الإِنَاث إلى ضمير الذُّكُور، مع بقاء الأُنثى (زوجة إبْرَاهِيم) تحت الخطاب القُرْآنِيِّ.

٤- الشَّواهد القرآنية والشعرِيَّة تؤكد صحَّة الخطَاب والانتقال من ضمِير الإِنَاث إلى ضمير الذُّكُور، وأنَّ استعمال الجمع المُذَكَّر للتَّعبِير عن المُفرد المُؤنَّث كان واضحا ومُتَكررا،

٥- الثابت في اللُّغَة وَالعُرف، استعمال ضَمير الجَمعِ المُذَكَّرِ للتَّعبِير عَن المُفرد المُؤَنَّث وَعَن المُفرد المُذكَّر، في حَال التغليب والتَّفخيم والتَّعظيمِ وَالتَّعَفُّفِ والستر وغَيرها.

٦- أثبت البحث عدم الموضوعية من المعترضين، فلا توجد عندهم منهجية واحدة في التعامل مع انتقال الخطاب من المؤنث الى المذكر كما في تفسيرهم الخطاب القرآني الى زوجة نبي الله إبراهيم وزوجة نبي الله موسى،

وتفسيرهم مع زوجات النبي الاكرم.

٧- إعراب (أهل البيت) بالنصب على النداء هو الأقرب؛ لكونه المشعر بالتقريب والتكريم وهو المناسب للسياق القرآني.

٨-السياق القرآني سبب أزمة عند بعض المفسرين، وصار مِن الأَسباب الرَّئيسة للقول عند البعض بالتحريف، وأن السياق ليس بحجة .

٩- أثبت البحث أن آيةَ التَّطهير ليست غريبة عن آيات النّساء وأَحكامها، بل ترتبِطُ بها بحسب السياق والتعبير القرآني.

١٠- أثبت البحث أنَّ زَوجات خاتم النَّبيِّين(عَلَيه وعلى آلِه الصَّلاةُ والسَّلَام) داخلاتٌ تحت عُنوان أَهل البيت وآية التَّطهير، بحسب السِّيَاق.

* * *

المصادر

- القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم ، انتشارات ناصر خسرو، قم المقدسة، ١٣٨٠هـ.

٢. أحكام القرآن ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) راجع خرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٣ م عدد الأجزاء:٤

٣. الأساس في التفسير المؤلف: سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) الناشر: دار السلام - القاهرة الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ عدد الأجزاء: ١١.

٤. الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ) تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ عدد الأجزاء: ٩.

٥. أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن: محمد الامين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) ، اعتنى به الشيخ صلاح الدين العلايلي، ط ١، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٦م.

٦. إعراب القرآن الكريم وبيانه للأستاذ محيي

الدين الدرويش (ت١٣٩٢هـ) الناشر: دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق - الطبعة العاشرة: ٢٠٠٩م.

٧. الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط «هو إعراب القرآن مستلًّا من (البحر المحيط) لأبي حيان الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ) ، المؤلف: د. ياسين جاسم المحيميد

٨. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٩. البحر المحيط ، أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق الدكتور عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٠. تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى بن محمد الحُسيني الزَبيدي (ت١٢٠٥هـ) اعتنى به ووضع حواشيه الدكتور عبد المنعم خليل إبراهيم، والأستاذ كريم سيد محمد محمود. الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت لبنان- الطبعة الثانية: ٢٠١٢م.

١١. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤٠.

١٢. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ.٢٠٠٤م.

١٣. تفسير الجلالين الميسر، جلال الدين المحلي، الجلال السيوطي(ت ٨٦٤ هـ)؛ ط١، ٢٠٠٣.

١٤. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، المحقق: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، سنة النشر: ١٤٢١ - ٢٠٠١.

١٥. تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

١٦. تفسير الطبريّ- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (المتوفَّى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد اللّه بن عبد المحسن التركيّ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلّد (٢٤ مجلّد ومجلّدان فهارس).

١٧. تفسير القرآن العظيم- تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٨.

١٨. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم : السيد طيب الموسوي الجزائري، الطبعة: الثالثة ١٤٠٤.

١٩. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام

فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن حسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (ت٦٠٤هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط٣ - ٢٠٠٩م.

٢٠. تفسير اللباب في علوم الكتاب، بن عادل الدمشقي الحنبلي (٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١.

٢١. تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ) الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر- الطبعة الأولى: ١٩٤٦م

٢٢. التفسير المظهري المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله المحقق: غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية - الباكستان الطبعة: ١٤١٢ هـ.

٢٣. تفسير النسفي (تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل)، النسفي (ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمد ت ٧١٠ هـ) بيروت، ١٩٧٨

٢٤. تفسير نور الثقلين المؤلف: الشيخ عبد علي بن جمعه العروسي الحويزي، مؤسسة اسماعيليان قم، تاريخ النشر: ١٤١٢.

٢٥. تفسير الميزان، الطباطبائي، محمد حسين (ت: ١٤٠٢هـ)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، عدد الأجزاء: ٢٠.

٢٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى.

٢٧. التعبير القرآني، الدكتور فاضل السامرائي، مصورات مكتبة الصادق.

٢٨. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي.

٢٩. ثَلاثة شُعراء مقلون ـ جمع وتحقيق ودراسة د. شَريف راغب عَلاونه.

٣٠. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت٦٧١هـ) دار التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥.

٣١. حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك، الصبان (أحمد بن محمد بن علي ت ١٢٠٦هـ) دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

٣٢. خزانة الادب ولب لسان العرب، البغدادي (١٠٩٣هـ) مطبعة علي بك جودت، مصر، ١٢٩٩.

٣٣. دراسة في النظم القرآني في سورة الاحزاب، حسن عثمان يوسف عدوان، تحقيق محسن سميح الخالدي، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٣.

٣٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (احمد بن يوسف ت ٧٥٦ هـ) تحقيق احمد محمد الخراط، ط١، دار العلم

دمشق، ١٩٨٦
٣٥. دروس في علم الأصول لأية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر (ت١٩٨٠م) الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ.
٣٦. دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء، د. بتول قاسم ناصر، الناشر وزارة الثقافة العراقية ط ١٩٩٩.
٣٧. ديوان العرجيّ ـ جمع وتحقيق وشَرح: د. سجيع الجبيلي ـ دار صادر: بيروت
٣٨. ديوان جميل بن معمر(٨٢هـ)، جمع وتحقيق د. حسين نصار،دار مصر للطباعة ١٩٧٩.
٣٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦.
٤٠. شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لجمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الأندلسي (ت٦٧٢هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.
٤١. شذرات من فلسفة تاريخ الحسين (عليه السلام)، السيد محمد محمد صادق الصدر، الناشر هيئة تراث السيد الشهيد، ٢٠١٢.
٤٢. شعر الحارث بن خالد المخزُومِي ـ تحقيق: د. يحيى الجبوري.
٤٣. العصمة ، محاضرات السيد كمال الحيدري ، بقلم محمد القاضي ، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر.
٤٤. العين الفراهيدي الخليل بن أحمد (١٧٥هـ) ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي ، و الدكتور إبراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال.
٤٥. غرائب القرآن ورغائب الفرقان المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ
٤٦. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ٤٥٣/١٢.
٤٧. في ظِلال القرآن لسيد قطب، الناشر: دار الشروق، الطبعة الثانية والثلاثون: ٢٠٠٣م.
٤٨. كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ١٨٠هـ ت عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة.
٤٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٥٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام

أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م عدد الأجزاء: ١٠

٥١. لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت٧٢٥هـ) طبعه وصححه: عبد السلام محمد علي شاهين، ط١ الأولى: ٢٠٠٤م.

٥٢. لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد، أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار صادر، بيروت. ط٣، ١٩٩٤.

٥٣. اللغة، فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ،الناشر مكتبة الانجلو المصرية.

٥٤. مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، دار العلوم ، بيروت، ط١ ٢٠٠٥م.

٥٥. المجيد في إعراب القرآن المجيد، السفاقسي (ابراهيم بن محمد ت٧٤٢هـ) ، رسالة دكتوراه، عبد الرزاق عباس الأحبابي، كلية الآداب، بغداد، ١٤١٨هـ،١٩٩٨م.

٥٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق ابن عطية ت٥٤١هـ، تحقيق احمد صادق الملاح، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٩٧٤م.

٥٧. مختار الصحاح، أبو بكر الرازي ت٦٦٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٦٧م.

٥٨. معاني النحو: د. فاضل السامرائي، بيت الحكمة، بغداد ١٩٨٧م.

٥٩. معجم مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٤٠٣هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي. الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ٢٠٠٦م.

٦٠. معجم المصطلحات الادبية ، ابراهيم فتحي ٢٠١٠ مطبعة التعاضدية العالمية - تونس ١٩٨٦.

٦١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الصادق، الطبعة الثانية: ١٣٨٧هـ.

٦٢. معجم مقاييس اللّغة لابن فارس. تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر.

٦٣. من اسرار التعبير القرآني دراسة تحليلة لسورة الأحزاب ، د محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ط١٩٩٦،٢.

٦٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة عدد الأجزاء: ٢٢ .

٦٥. نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، محمد علي الكرجي القصاب، الناشر: دار ابن القيم - دار ابن عفان، سنة النشر: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ .

٦٦. وظائف السياق في التفسير القرآني. عقيد خالد عزاوي ، دار العصماء،٢٠١٥.

البحوث والمجلات:

٦٧.السياق وانماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني م. د. خليل خلف بشير العامري مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد (٩) العدد (٢) ٢٠١٠.

٦٨. من بلاغة الخطاب الموجه الى أمهات المؤمنين بما عليهن من آداب في سورة الأحزاب، د. الجوهرة بنت بخيت، كلية اللغة العربية جامعة الامام محمد بن سعود.

٦٩. الفتوى (١٣٠٤):

www.m-a-arabia.com/site/23087.html.

* * *